دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

التطور الحضاري القديم لمدينة العُلا
دراسة في الجغرافيا التاريخية

د. ياسمين كامل سليم بن صالح
أستاذ الجغرافيا التاريخية المشارك
كلية التربية والآداب – جامعة تبوك
المملكة العربية السعودية

مُلَخّص

تتناول الدراسة التطور الحضاري القديم لمدينة العُلا "دراسة في الجغرافيا التاريخية" حيث مرت مدينة العُلا بعديد من مراحل التطور الحضاري والثقافي عبر العصور منذ ظهورها في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد إلى الوقت الحالي هذه الفترة الزمنية وقد لعبت دور في التغيير ثقافي وحضاري اتضحت من خلاله هوية سكانها وتميزهم عن غيرهم، وتفردت بحضارة خاصة بها وعادات وتقليد اجتماعية مستوحاه من التاريخ عبر العصور التي مرت بها قبل ضمها على يد المؤسس الملك عبدالعزيز "رحمه الله" والذي خلق لها واقعًا حضاريًا وثقافيًا مميزًا تعتز به بالإضافة إلى كونها جزء لا يتجزأ من المملكة العربية السعودية . نظرًا لطول الفترة الزمنية، سنتطرق في هذه الدراسة إلى مرحلتين رئيستين ارتبطت المرحلة الأولى بالتاريخ القديم، والمرحلة الثانية بالتاريخ الحديث وصولاً إلى العهد السعودي. حيث اتضحت من خلاله التحولات الحضارية والثقافية لمدينة العُلا، وانطلاقًا من هذه المرحلتين سنسلط الضوء أيضًا على سلسة الانتشار الحضاري لمعرفة كيف تطورت العُلا حضاريًا وامتزج فيها التاريخ بالجغرافيا تطبيقًا لنظرية عبقرية المكان للمفكر جمال حمدان التي ترى أن لكل موقع أهمية وتفرد تختلف باختلاف كل مكان من حيث الموقع والموضع. واستنادًا على نظرية "لويس هنري مورغان" (Lewis Henry Morgan) في دراسة الانتشار الحضاري، والذي سيتضح من خلال دراستنا لمراحل التطور والعوامل الجغرافية التي أثرت عليها . تم الاعتماد على المنهج التاريخي المرتبط بالجغرافيا كما تطلب البحث أحيانًا استخدام المنهج التحليلي، وكذلك المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظواهر واستقرائها . وجاءت الخطة في مقدمة ومبحثين اثنين: تناول الأول: العُلا بين الجغرافيا والتاريخ في العصر القديم؛ أما الثاني فتناول: العُلا بين الجغرافيا والتاريخ في التاريخ الحديث. وأخيرًا جاءت خاتمة الدراسة، واختتم البحث بتوصيات الدراسة وملاحقها وثبت المصادر والمراجع.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	٠٧	أبريل	٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر:	٢٦	مايو	٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

جغرافية مدينة العلا؛ تاريخ مدينة العلا؛ الجغرافيا التاريخية؛ التطور الحضاري؛ التاريخ الحضاري في شبه الجزيرة العربية.

معرّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2024.360803

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

ياسمين كامل سليم بن صالح، "التطور الحضاري القديم لمدينة العلا: دراسة في الجغرافيا التاريخية".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد الرابع والستون: يونيو ٢٠٢٤. ص ٢٦ – ٤٥.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: ysaleh@ut.edu.sa
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

يُعَدّ التطور الحضاري هو البعد الزمني للجغرافيا الحضارية التي تعني بدراسة أسلوب حياة جامعة تشترك في ممارسته مجموعة من الناس تربط بينهم تشابهات مكتسبة في اللغة والسلوك والأفكار والمعتقدات والقيم، فهي تدرس التباينات المكانية بين المجموعات الحضارية. والعمق التطوري لهذه المجتمعات وسهولة الربط التتابعي التحليلي في الإطار المكاني بحيث يكون الماضي مفتاحًا للحاضر، فالزمن هو البعد الثالث بعد المكان والأنسان فهو يهب الجغرافيا التاريخية للدراسات الحضارية عنصرًا ديناميكيًا متجددًا، حيث تهتم بدراسة بناء جغرافيات الماضي بما فيه من مظاهر طبيعية وبشرية والتي بدأت بعد الزمن الرابع "في عصر ظهور الكتابة" أما قبل ذلك اقتصرت الدراسة على المظهر الخارجي للأرض وسميت "بجغرافية ما قبل التاريخ "وحجم المرحلة الزمنية في مثل هذا النوع من الدراسات الجغرافية قد يمتد إلى مئات السنين، إذ يلعب الزمن دورًا مهمًا في الدراسة التغيير كظاهرة ملازمة للحضارة وثقافة المجتمعات وسمة من سماتها الأساسية. في ظل شح المعلومات المنتشرة في مصادر متنوعة ومتباينة وكثير منها غير جغرافية فدور الجغرافي التاريخي عندما يكتب عن أي منطقة يشبه دور من يبني بناء من مواد مختلفة.

وقد تتطابق اهتمام الجغرافيين مع علماء الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم الاجتماع حيث إنها محور اهتمام مشترك إلا أن الجغرافيين ينفردوا بالطرق التي تتغير بواسطتها الحضارات والمجتمعات وكيف تؤدي وظيفتها في إطار مكاني لاسيما أنهم مدربون على ملاحظة وإدراك الأنماط المكانية بنوعيها الطبيعي والبشري. وبناءً على ذلك فإن مدينة العُلا التاريخية – ووفقًا لنظرية الانتشار الحضاري- مرت بعديد من مراحل التطور الحضاري والثقافي عبر العصور منذ ظهورها في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد إلى الوقت الحالي هذه الفترة الزمنية لعبت دور في التغيير ثقافي وحضاري اتضحت من خلاله هوية سكانها وتميزهم عن غيرهم ، وتفردت بحضارة خاصة بها وعادات وتقليد اجتماعية مستوحاه من التاريخ عبر العصور التي مرت بها قبل ضمها على يد المؤسس الملك عبدالعزيز "رحمه الله" والذي خلق لها واقعًا حضاريًا وثقافيًا مميزًا تعتز به بالإضافة إلى كونها جزء لا يتجزأ من المملكة العربية السعودية.

أولاً: العُـلا بـين الجغرافيـا والتـاريخ في العصر القديم

١/١-الموقع الجغرافي وعبقرية المكان

اكتسبت العُلا أهميتها التاريخية بشكل خاص من خلال موقعها الجغرافي الاستراتيجي ووفق نظرية عبقرية المكان يكون الموقع سر العبقرية وتتمثل أهمية المكان الحيوي في تفاعل معطيات الموقع الجغرافي والإشعاع الحضاري، ويُعَدّ موقع العُلا من أكثر المواقع أهمية في شبه الجزيرة العربية حيث تقع العُلا في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية على درجة الطول ٥٨ ٥٥ ٣٧، ودرجة العرض ٢٩ ٣٦ ٢٦، وترتبط إداريًا بالمدينة المنورة، وتبعد عنها (٤٠٠) كيلو مترًا (عبر الطريق القديم، و(٣٢٠ كيلو مترًا) عبر الطريق الجديد المباشر، وتنحصر فلكيا عند دائرة عرض ٤٧ – ٢٦ شمالاً، وخط طول ٥٣ – ٣٧ شرقًا (السراني، ٢٠٢٢، ص ١٦٩). وتبعد عن الحجر (مدائن صالح) جنوبًا ٢٢ كيلو مترًا، وتقدر مساحتها بنحو ٢٥ كيلو متر مربع، ويقدر عرضها من ٢,٥ إلى خمسة كيلو مترات (عبد الكريم، ١٩٩٤م، ص٩).

وهي تقع وسط وادٍ يعرف بوادي القرى المشهور تاريخيًا، بقراه المتعددة وآباره وعيونه ومساحته الكبيرة التي شملت خيبر ووادي الحمض جنوبًا، وبادية الشام، شمالاً، وتيماء شرقًا، وامتداد ساحل شمال البحر الأحمر غربًا. (البلوي، حمد بن منصور، مرجع سابق، ص ٢٣. ويصب في وادي الجزل (السمهودي، ١٩٩٨م، ج ٤، ص ١٦١) ثم يصب في وادي الحمض، الذي بدوره يصب في البحر الأحمر، وتمتد طولاً من الشمال إلى الجنوب، وتحيط بها الجبال من الشرق والغرب (نصيف، ١٩٩٥م، ص١١)، وقد أثرت عوامل التعرية في هذه الجبال، حتى اتخذت أشكالاً طبيعية، تصلح لأن

تكون ضمن الموارد الطبيعية في المملكة العربية السعودية (الأنصاري، وأبو الحسن، ٢٠٠٥م، ص١٢).

أما تضاريس منطقة العُلا، بشكل عام فهي جبلية امتداد لجبال الحجاز في الجنوب، ويتكون إقليم الحجاز من الناحية الجيولوجية من الصخور البلورية والمتحولة والتكوينات الرسوبية، وكذلك التكوينات الحديثة المتحولة مع تكوينات البحر الأحمر (الفقير، ٢٠٠٧م، ٣٠). أدى هذا الموقع الجغرافي المتميز دورًا جوهريًا في جعل العُلا إحدى مناطق الحضارات في العالم القديم، وجعلها معبرًا وطريق تجاري هام وحيوي فقد كانت من المراكز الحضارية والتجارية؛ لوقوعها على الطريق التجاري الذي يربط الجزيرة العربية جنوبًا بمصر وبلاد الشام والعراق، مما كان له أعظم الأثر في سهولة التواصل بين سكان الجزيرة العربية؛ ووفقًا لنظرية الانتشار الحضاري ساعد ذلك على قيام ونشأة وتطور المدن والممالك العربية قديمًا سواء في شمالي الجزيرة العربية، أو في جنوبها وفي شرقها. حيث استفادت الجزيرة العربية من الانتعاش الاقتصادي من جراء شبكة الطرق التجارية المترابطة التي تربط بين مدنها، وكذلك التي تربطها بالحضارات المجاورة في الشرق الأدنى القديم؛ والتي كانت من ضمنها الحضارة المصرية القديمة في وادي النيل. (الزهراني، ٢٠٠٨م، ص٤١).

جاء هذا التميز نتيجة الموقع الجغرافي المتميز موقعًا وموضعًا في تطبيق رائع لنظرية عبقرية المكان بكل معانيها حيث تبحث في العُلاقة بين الإنسان والمكان بكل ما تحتويه من موارد طبيعية وما يترتب على هذه العُلاقة من تحديد شخصية المكان، وما يترتب على حسن هذه العُلاقة من حسن أو سوء الاستخدام للموارد. كما كان لموقع العُلا الجغرافي المتميز على طريق البخور والتوابل القديم أكبر الأثر في تطورها الحضاري وجعلها نقطة التقاء حضارة بلاد الشام والرافدين ومصر مع جزيرة العرب بالإضافة الى تاريخها العريق الممتد منذ عصور ما قبل التاريخ إلى الوقت الحاضر فشهدت تحولات حضارية – واقتصادية –وسياسية—واجتماعية. وكانت العُلا من أهم المواد التجارية الرائجة في العالم القديم (علي، ١٩٧٨م، ج٢، ص ٢٤٢، ٢٤٣)، وهذا الطريق يصل بين الجزيرة العربية وبين كل من مصر والشام، فالعُلا تقع في واد ضيق بين سلسلة الجبال في الشرق والغرب، على بعد ٢٢ كيلو متر جنوب مدائن صالح، على الطريق التجاري القديم الذي يربط بين المحيط الهندي عبر غرب الجزيرة العربية بالبحر الأبيض المتوسط مارًا بمكة ويثرب وخيبر ومدائن صالح، وهذا الطريق كان له الفضل في ازدهار مدينة العُلا خلال عصور ما قبل الإسلام (أبو الحسن، ١٩٩٧م، ص٣٢).

وتُعَدّ جبال العُلا تراثًا طبيعيًا فهي امتداد لسلسلة جبال السروات الممتدة من جنوب المملكة إلى شمالها، وخلف الجبال الرملية التي تحد العُلا من الجهة الغربية تقع حرة العويرض التي ترتفع لأكثر من ١٠٠٠ عن سطح البحر، وهناك طريق معبد يؤدي إلى قمة هذه الحرة بحيث يتمكن الواقف على سطح هذه الحرة من مشاهدة العُلا وما يحيط بها من مناظر طبيعية ثقافية في مشهد طبيعي خلاب وجذاب؛ قال عنها البكري في رحلته للحج حين نزل بها: "وهذه البلاد جبالها كلها على شكل المدائن مقلوبة أعاليها سافله، وبيوتهم كانت منحوتة في الجبال" (البكري، ١٩٩٢م، ص٧٨). كما أن العُلا القديمة[1] مشيدة على هضبة صخرية مرتفعة عن الأودية والشعاب، وحول القلعة، وبالتالي تحقق هدفين من موقع المدينة، أولهما: إقامة المدينة على هضبة صخرية للاحتماء من مداهمات السيول أو الغزاة ويساعد الموقع المحصن تحصينًا طبيعيًا على سهولة الدفاع عن المدينة، وثانيهما: إقامة المدينة حول القلعة، وبالتالي زاد التحصين الحربي لمدينة العُلا بإقامة مدينة العُلا الإسلامية حول القلعة (متولي، ٢٠١٧م، ص٢).

كما مكن هذا الموقع العبقري للعلا عبر تاريخها من الحفاظ على ثقافتها كما أتاحت بنيتها الطبيعية كل

(١) أضيفت لفظة القديمة إلى العلا تميزًا لها عن العُلا الحديثة، والاسم المحلي للعُلا القديمة المسورة هو «الديرة» تميزًا لها عن بقية الأحياء المأهولة الواقعة خارج سور البلدة القديمة، فعند ذكر اسم العُلا القديمة فإنها يقصد بها الديرة والعكس صحيح. المحفوظ، إبراهيم سليمان، التوزيع المكاني لمجالس العشائر في مدينة العُلا القديمة بمنطقة المدينة المنورة، مجلة الدراسات العربي، ع.٤، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٩٩٩م، ص٢٨٣.

مقومات الحماية التي قد لا تتوفر لأماكن غيرها. كما جعلت تلك العوامل من العُلا محل تنافس مع كثير من الأمم والأقوام والدويلات على الاستيلاء عليها هو موقعها الجغرافي الحصين بين تلك التضاريس وعلى مفترق طرق القوافل سواء كان تجاريا أو سياحيا. وتكتنز العُلا بين تضاريسها مجموعة من أهم المواقع الأثرية في شبه الجزيرة العربية، ومزيج فذ بين جمال الطبيعة من جبال ووديان، وتاريخ يعود إلى آلاف السنين، لتصبح سجلاً للحضارات وحاضنة تاريخية للنقوش القديمة الموجودة على متون جبالها بخطوط مختلفة، ضمت النبطية واللحيانية والدادانية والثمودية والمعينية بالإضافة إلى الخطوط العربية والنقوش الإسلامية، مشكلة مزيجًا فريدًا بين الطبيعة والتاريخ (المحرر الثقافي، ٢٠٢١م، ص١٨٠).

ويسود المناخ الصحراوي بلدة العُلا ووديها؛ إذ يُعدّان جزءًا من إقليم الحجاز ذي الحرارة الشديدة، والهواء المعتدل في مرتفعاته الجبلية، كما أنّ قربه من الساحل الشمالي للبحر الأحمر يدفع إلى وصول مؤثرات بحرية تلطّف من درجة الحرارة (أبو العُلا، ١٩٩٥م، ص٦٧)، وتتساقط الأمطار في شهر أكتوبر من كلِّ عام عدا شهور الصيف وتشهد بعض السنوات سقوط أمطار غزيرة (رجب، ١٩٧٩م، ص٤٣). ويبلغ معدل الأمطار (٢٥٤) ملميترًا سنويًا، ويبلغ ارتفاع العُلا عن سطح البحر من (٧٦٥) إلى (٨٢٥) مترًا (العنزي، ١٩٩٦م، ص٢٤١).

٢/١-مقومات الزراعة في العُلا

كما كان لتوفر المياه العذبة مع خصوبة الأرض وقابليتها للزراعة الأثر الأكبر في جعل العُلا تشهد استيطانا حضاريا منذ فترة ما قبل التاريخ، بدءا من العصور الحجرية وحتى وقتنا الحالي، وهما الأمران اللذان يميزان منطقة العُلا منذ فجر التاريخ. ومن هنا اقترنت جغرافية العُلا بتاريخها بصورة فريدة (المحرر الثقافي، ٢٠٢١، مرجع سابق، ص ١٨٠). كما نتج عن كثرة المياه العذبة الجارية في الوادي وخصوبة أرضها وكثرة مزارعها وفرة الخيرات بها من تمور وحبوب وخضراوات (جلبي، ١٩٩٩م، ص١٠١). وهكذا امتازت الحياة الزراعية في العُلا كما في موقعها الاستراتيجي ولتربتها الخصبة وكثرة المياه الجوفية جعلها من المناطق التي تشتهر بالزراعة قديمًا

٣/١-ارتباط الرعي بالجغرافيا

وتتوافر في بلدة العُلا ووديها أماكن الرعي، كما يوجد العديد من الحيوانات، كالإبل والأغنام وغيرهما، بالإضافة إلى الأشجار (البلوي، حمد بن منصور، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٥؛ نصيف، ١٩٩٨م، ص٧٣)، ويسكن فيها عدد من القبائل (نصيف، المرجع السابق، ص٣٩-٤١)، وهم أناس مستقرون يمتهنون الزراعة، ويعمل البعض منهم بالتجارة، فيما امتهنت القبائل البدوية الرعي، وهي قبائل مجاورة لبلدة العُلا (دوتي، ٢٠٠٥م، مج ١، ج ١، ص ١١٧-١١٩)، ويقوم تبادل اقتصادي بين أهالي بلدة العُلا والقبائل البدوية المجاورة؛ حيث يقدم لهم البدو الإقط والسمن، بينما يقدّم أهالي العُلا الثمر(هوبير، ٢٠١٤م، مج١، ص٣٧٦).

٤/١-العُلا معبرًا من معابر الطرق التجارية

تعد العُلا إحدى المدن الرئيسية المهمة حيث كانت معبرًا للطرق التجارية الدولية. فقد أكسبها مرقعها الجغرافي دورا حيويا في التحكم بشبكة طرق القوافل التجارية القديمة؛ فكانت بذلك وفقًا لنظرية الانتشار الحضاري من مدن تبادل السلع والأفكار والفنون والعادات والتقاليد؛ فكانت بلدة العُلا وما جاورها من أماكن قد شكلت تاريخيا حركة تجارية للممالك العربية؛ إذ تأسست في هذه النواحي قبل الميلاد وما بعده بقليل مملكة معين، والأنباط؛ نظرًا لما تملكه من موقع جغرافي على طريق قوافل التجارة القديمة المارة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها باتجاه بلاد الشام (هوساوي، ٢٠١٧م، ص ١١٦-١١٧، ١٢٧-١٢٨). وهكذا شكلت بلدة العُلا بجغرافيتها المتميزة، ووديها الشهير وموقعها الهام تاريخا مهما في عصورها التاريخية المختلفة، وقبائلها المتعددة، والسلطات السياسية المتعاقبة عليها وصولا إلى العصر الحديث.

وما يقوي نظرية الانتشار الحضاري انتشار الطرق التجارية التي تمر بالعُلا وتثبت ارتباطها الوثيق بالتاريخ والجغرافيا (علي، مرجع سابق، ج٢، ص، ٢٤٢، ٢٤٣؛ الزهراني، مرجع سابق، ص ٤١):

١- الطريق الذي يأتي من جنوب بلاد العرب من عدن مارا بمدن الحجاز الرئيسية التي تعتبر مقصداً للعالم الإسلامي ثم إلى خيبر إلى أن يصل إلى العُلا ومنها إلى الشام والهند.

٢- الطريق الذي يبدأ من جنوب بلاد العرب مارا بالحافة الغربية من الربع الخالي متجها إلى اليمامة ثم ينحدر إلى الشمال الغربي إلى منطقة العُلا ومدائن صالح الحجر فبلاد الشام وإلى مصر.

٣-طريق سكة الحديد الحجاز الذي كان ينقل الحجاج من الشام إلى مكة المكرمة.

٤-الطريق الذي يمتد من الخليج العربي ويدخل وادي الرافدين فمرورًا بتيماء والعُلا قاصداً بلاد الشام.

وهكذا وبفضل وقوعها وسط شبكة من الطرق التجارية القديمة تمكن سكانها منذ مطلع الألف الأول ق.م. من القيام بدور فعال في تجارة العبور بين مناطق الجزيرة العربية ومراكز الاستهلاك في العالم القديم، الأمر الذي هيأ لسكان العُلا -وفق نظرية الانتشار الحضاري-اتصالاً مباشرًا بمراكز الحضارات القديمة في بلاد الشام ومصر، مما أتاح لهم فرصة للاطلاع على ثقافاتها ومدنياتها المتقدمة آنذاك، فأثروا وتأثروا بمظاهر تلك الثقافات، وفي مقدمتها الكتابة الأبجدية التي كانت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد منتشرة في بلاد الشام (Lundin, 1996, 619-632).

لقد ساهم موقع العُلا بدور فعال في علاقاتها الخارجية مع جيرانها فموقع العُلا بحد ذاته عبقريًا وليس هامشيًا، وموضعها عبقري بامتياز، فكانت من الأماكن الفاعلة مع جيرانها وليست الخاملة في التاريخ فأثر ذلك بصورة إيجابية على موضعها أي مكانتها بين الأمم وانطبقت عليه نظرية الانتشار الحضاري حيث ارتبط استمرار استيطان الأمم والحضارات القديمة على مر العصور في العُلا نتيجة عدد من العوامل البيئية والطبيعية، وتوفر مصادر الحياة متمثلة في الماء والغذاء وأيضًا المواد الأولية الداخلة في الصناعات الحيوية اليومية، فضلاً إلى توافر عوامل الأمان والسلامة للحياة. من هذا المنطلق تعايش أهل العُلا مع عناصر البيئية في عدد من المواقع المحددة التي لديها إطار استراتيجي ومعيشي ملائم للسكان. وتعد منطقة العُلا واحدة من المناطق المثيرة للاهتمام لاحتوائها على العديد من الأدلة على الاستيطان المستمر لعدد من الحضارات المتعاقبة والمختلفة في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية. تحمل منطقة العُلا الكثير من الأدلة على استمرار الاستيطان منذ فترة ما قبل التاريخ مرورًا بالفترات الحضارية المختلفة نهاية بفترة العصور الحديثة. ويرجع ذلك إلى ملاءمتها وتنوع عناصرها البيئية وأيضًا توافر مصادر المياه المتنوعة بالمنطقة. وفي هذا الصدد تم تقييم العوامل البيئية بالمنطقة باعتبارها أحد العوامل الرئيسية التي هيأت المنطقة للاستيطان المستمر في هذه الدراسة. بالإضافة إلى ذلك، فقد تم استعراض الحضارات المتعاقبة ودلائلها الأثرية المختلفة ومدى ارتباطها بالعوامل البيئية. ولهذا فإن هذه الدراسة تفسر أسباب استمرار الاستيطان على مر العصور الحضارية المختلفة في منطقة العُلا وأيضًا يمكن تطبيق نفس النظرية على عدد من مواقع الاستيطان الحضاري على امتداد الجزيرة العربية (Samer, 2022,p.13)

٥/١-سبب التسمية بالعُلا وارتباطه بجغرافيتها

ارتبط تسمية العُلا بالجغرافيا فسميت العُلا قديما بوادي القرى، وديدان، وتاريخها يعود إلى ما قبل الميلاد بآلاف السنين مرت بها حضارات عدة، ويروى أن تسميتها بالعُلا نسبة إلى عينين مشهورتين بالماء العذب، عرفت بهما، وهما "المعلق وتدعل" (المحرر الثقافي، ٢٠٢١، مرجع سابق، ص ١٨٠). وقد أُطلق على هذا الوادي (وادي العُلا) في (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، وقد تأسست بلدة العُلا في أضيق نقطة في الوادي (نصيف، ١٩٩٨م، ص٣٠). ويحيط بمدينة العُلا جبلان كبيران. ومن هنا استنتج صاحب النفحة المسكية بأن التسمية جاءت "لكون الجبلين اللذين يكتنفانها عاليين مرتفعين" (السويدي، ٢٠٠٩م، ص٢٤٩). ورأى البعض أن سبب تسميتها بالعُلا أنها قامت على أنقاض قصبة وادي

القرى المسمى «قرح»[٢] وهو موضع كان بالوادي من صدره، فغلب عليه اسم العُلا؛ لأنه أعلى الوادي (شراب، مرجع سابق، ص ٢٢٤).

٦/١-ارتباط تاريخ العُلا بجغرافيتها عبر التاريخ القديم

لقد امتزجت في العُلا عبقرية المكان مع عبقرية التاريخ فتشير الدراسات التاريخية إلى أن استيطانها يعود إلى آلاف الأعوام منذ العصر الحجري، وذلك نسبة لوجود المياه العذبة وخصوبة أرضها. وتُعَدّ العُلا من أقدم المناطق التي سكنتها المجتمعات القديمة وتؤكد الشواهد الأثرية التي تم اكتشافها في المنطقة مدى قدم المنطقة تاريخيًا، ويشتمل الموقع مظاهر أثرية متنوعة؛ فعرفت العُلا، عند الباحثين بعاصمة الآثار وبلد الحضارات، وسمّاها أهلها «عروس الجبال» ولؤلؤة الشمال (الحربي، ٢٠١٣م، ص٤٠٢)، وعلى مقربة منها تقع مدائن صالح أو قرى صالح أو الحجر، وهي تسميات تطلق على مكان قوم ثمود والأنباط، حيث مقابرهم المنحوتة في الجبال التي تعرف عند أهل المنطقة بالقصور لروعة النحت وجماله (المحرر الثقافي، ٢٠٢١م، ص ١٨١).

وتعود الآثار المكتشفة في العُلا إلى عدة حقب من التاريخ فبحسب المسوحات التي قامت بها جامعة الملك سعود للآثار "حرة عويرض" على سبيل المثال، فقد أعطت نتائجها تاريخا أوليا على أنها قد تعود إلى ٢٠٠ ألف عام قبل الميلاد مما يعطي بعدا جديدا للتواجد البشري في العُلا، والذي قد يكون في الأغلب استيطانا حضاريًا؛ بعد ذلك تأتي آثار الفترة ما بين ٥ آلاف و٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، ومن الدلائل عليها، المدفن المكتشف في الحجر والذي يعود إلى فترة العصر البرونزي أي إلى ٢٤٠٠ سنة قبل الميلاد، وهو واحد من المكتشفات الأثرية الحديثة في العُلا والتي أفادت بوجود استيطان تواجد بشري) فيها خلال فترة العصر البرونزي (المحرر الثقافي، ٢٠٢١، المرجع نفسه، ص١٨٠- ١٨١).

أما الفترة المهمة جدا في العُلا والتي تتميز بها المنطقة، فهي الألف الأولى قبل الميلاد، والتي كان واضحا جدا خلالها وصول الاستيطان الحضاري فيها إلى ذروته ومن أهم تلك المواقع هو موقع "دادان" المسمى حديثا "الخريبة" (الديري، ٢٠١٦م، ع ٧، ص٣٥) والذي يمثل عاصمة لملكتين متتاليتين هما مملكة دادان - والتي نستطيع تأريخها من القرن الثامن قبل الميلاد وحتى السادس قبل الميلاد-، وقد ورد هذا الاسم في التوراة وفي كتابات الآشوريين، وفي العديد من الكتابات العربية القديم (الزهراني، مرجع سابق، ص٤٢)؛ أعقبها مملكة لحيان -من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى نهايات القرن الثاني أو بدايات القرن الأول قبل الميلاد-(المحرر الثقافي، ٢٠٢٠، مرجع سابق، ص١٨١). ويعتقد البعض أن مملكة ديدان هي المرحلة الأولى لمملكة لقبائل ثمود. ومن هنا يتضح أن الديدانيين هم الثموديين المذكورين في القرآن (أبو الحسن، مرجع سابق، ص٧). وتعدّ مملكة دادان أقدم مملكة عربية نشأت في المنطقة، وكانت تحتل موقعًا استراتيجيًا على الطريق الرئيس لتجارة البخور والتوابل (الناصري، ١٩٩٠م، ص٤٠٨)، والعطور وهي من أهم السلع التجارية الرائجة في العالم القديم (علي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٢- ٢٤٣).

وبعد أن استوطن اللحيانيون العُلا أنشأُوا لهم بها مملكة (نصيف، ١٩٩٥م، مرجع سابق، ص١٢) لهدف أساسي هو تأمين الطريق التجارية من اليمن إلى الشام. (علي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٠٢؛ Grimme, 1937 p.271 ولقد سيطر اللحيانيون على الطريق التجاري الذي يصل إلى البتراء شمالاً وباتجاه اليمن جنوبًا (الأنصاري، ١٩٧٥م، ص٨٠) (طريق البخور)، وعلى الطريق البحري أيضًا، إذا ما أخذنا في الاعتبار تسمية خليج العقبة "بخليج لحيان"، حتى إن التجار الإغريق والبحارة كانوا يدفعون الجزية للجباه من بني لحيان (أبو الحسن، ١٩٩٧، ص ٣٤). وقد وثق ملوك هذه الفترة علاقاتهم التجارية مع الدول المجاورة كالأنباط والبطالمة، ولكن هذه العُلاقة كانت أكثر عمقًا مع البطالمة حكام مصر (Jamme,1990. pp.69-85) ووفق نظرية الانتشار الحضاري يؤدي ذلك إلى

(٢) قرح بضم القاف وفتح الراء وآخره حاء مهملة، وهو موضع كان بوادي القرى. انظر شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ٢٢٤.

الازدهار الاقتصادي (صبحي، ١٩٩٩م، ص ١٥٩ –١٦٠؛ زناتي، ٢٠٠٧م، ص ٣٧) وزيادة العُلاقات التجارية حيث كان اللحيانيون يُصَدِّرُون لهم المواد العطرية والبهارات والخيول العربية الأصيلة. عبر ميناء Ampelone (أمبليوني) البطلمي المقام على السواحل اللحيانية باتفاق الدولتين، وعبر الميناء اللحياني Leuke Kome (لويكي كومي) وبموجب هذه العُلاقة والصداقة فقد وقف اللحيانيون مع البطالمة في حروبهم ضد السلوقين والسبئيين (الناصري، ٢٠٠١م، ١٩٨٤م، ص ٤١٣).

أما علاقتهم مع الأنباط فلم تكن حسنة إذ كانت بينهم مناوشات خاصة بعد أن ضعف نفوذ البطالمة حلفاء اللحيانيين وانحسر نفوذهم. فقد أخذ الأنباط يتطلعون إلى الاستيلاء على اللحيانيين والانتقام منهم لتحويلهم تجارة العطور والبهارات إلى مصر مباشرة دون المرور بعاصمتهم البتراء؛ مما أثَّر على اقتصادهم فأصبحوا يناوشون اللحيانيين ويهاجمونهم. وفي بادئ الأمر صمد اللحيانيون في وجه الأنباط وصدوا كثيرًا من هجماتهم، ولكن الأنباط تمكنوا فيما بعد من الاستيلاء على اللحيانيين والقضاء عليهم (الناصري، المرجع نفسه، ص٤١٠). وتم تطبيق نظرية الانتشار الحضاري عندما برع اللحيانيون في تنظيم شئون الحكم والعبادة، واللغة، والخط، والنحت والرسم والنقوش، والتجارة، والزراعة، والرعي. واستمر اللحيانيون في حكم منطقة العُلا وما حولها حتى انتهت دولتهم على يد المعينيين، عندما وصلوا إلى المنطقة لاستعادة نفوذهم واستولوا عليها فيما بين نهاية القرن الثالث والقرن الأول ق.م حفاظًا على تجارتهم ومكاسبهم المادية (الأنصاري، ١٩٧٥، مرجع سابق، ص٨٠).

كما أعطى المجتمع اللحياني حُرِّية التملك للمرأة وقد ثبت هذا في نقوشهم. كما أنهم كانوا ينحتون مقابرهم في جبال الخريبة بالعُلا لدفن موتاهم فيها (نصيف، ١٩٩٨م، ص١٥). وتتميز مقابرهم في العُلا عن المقابر في مدائن صالح بأنها شبة مربعة الشكل، لا تزيد فتحتها عن متر مربع واحد، وعمقها في داخل الصخر حوالي مترين (الأنصاري، ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٧٩). لم تصمد مملكة لحيان طويلاً أمام هجمات الأنباط، الذين أسسوا لهم مملكة عربية سميت مملكة الأنباط، واتخذوا من سلع (البتراء) عاصمة لهم، وقد استطاعوا أن يستولوا على الحجر سنة (٦٥ قبل الميلاد)، وجعلوها عاصمة ثانية لهم في الجنوب، وعلى دادان (العُلا) سنة (٩ قبل الميلاد) (علي، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٤٨).

وحل الأنباط محل اللحيانيين واستمرت العُلا في فرض مكانتها خلال عهد الأنباط في موقع الحجر، وسيطروا على طرق التجارة القديمة، وهو وفق نظرية الانتشار الحضاري يعد الركن الأساس لحركة التفاعل المتنامي لتاريخ الشعوب ومن ثم فحسب النظرية نتيجة لتوافر تلك العوامل أن تزدهر التجارة داخليًا وخارجيًا وهو ما حدث بالفعل خاصة مع وجود شبكات الاتصال حيث تمكن الأنباط من إقامة علاقات اقتصادية قوية بين الشرق والغرب، وأصبحت مدنها ومنها البتراء والعُلا مركزًا تجاريًا مهمًا جعلها تتحكم بطرق التجارة البرية ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، فقد امتد نشاط الأنباط التجاري إلى جنوب بلاد الرافدين والإسكندرية وجزيرة رودس وموانئ سورية على البحر المتوسط، إلى جانب تنوع السلع التجارية المستوردة ما بين: الصناعات النحاسية والحرير والحناء والزجاج وصبغ الأرجوان واللؤلؤ والمحار والخزف، وكان الأنباط يصدرون الذهب والفضة وزيت السمسم والفخار النبطي، وكان للأنباط دور اقتصادي مهم في نقل التجارة ما بين بلاد الشام ومصر، أضف إلى ما سبق إقامة الأنباط علاقات اقتصادية مع ميناء غزة لاستيراد بضائع البحر المتوسط، والتي يتم بيعها على تجار شبه الجزيرة العربية، ويشترون من تجار جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية بضائع متنوعة يعاد تصديرها للأسواق الخارجية عن طريق ميناء غزة فكان الأنباط هم الوسطاء التجاريين (سلام، ٢٠١٣م، ص ٢٥٤).

وكانت صنعاء عندما ازدهرت مملكة الأنباط – ترسل البضائع صوب الشمال عبر الحجاز، حيث تلك الطريق المارة بين سلسلتي الجبال المتوازيتين، فتصل إلى العُلا (وكانت محطة الحدود النبطية)، وهناك يتسلم الأنباط تلك البضائع وينقلونها إلى تيماء حيث

يتم فرزها ويرسل بعضها إلى الشام، ويرسل قسم منها إلى العقبة فالعريش فسيناء فمصر، ويرسل قسم آخر عن طريق حائل إلى بابل (سلام، المرجع نفسه، ص١١٩). وهكذا كانت أقصر طرق النقل وأكثرها سهولة بين جنوب الجزيرة العربية والبلاد المذكورة بما في ذلك مملكة الأنباط. وذلك لأنها كانت تمر عبر منطقة تبوك والعُلا، ولذا أصبحت منذ أقدم العصور محطة مهمة تمر عبرها البضائع والتوابل من الجنوب إلى عالم البحر الأبيض المتوسط (زاهر، ٢٠٠٤م، ص٦٧). وانتهت مملكة الأنباط سنة (١٠٦ ميلادي) إثر سيطرت الرومان في عهد الإمبراطور "تراجان" على الحجر (زاهر، المرجع نفسه، ص٦٧)، وتحول طريق التجارة إلى البحر، وبدأت الحجر (مدائن صالح) تفقد أهميتها كمحطة رئيسة على طريق التجارة، وانعكس ذلك على الحالة الاقتصادية وبدأ الناس في الرحيل عنها (الأنصاري، ٢٠٠٥، مرجع سابق، ص٦٨؛ أبو راس، ٢٠٠٤م، ص٤٦).

وفي العهد الإسلامي تذكر المصادر التاريخية أن وادي القرى (العُلا) فتح في السنة السابعة للهجرة بعد خيبر (ابن هشام، ١٩٩٠م، ج٣، ص٣٣٨)، وفيه ازدهرت وادي القرى، بشكل عام ومنطقة العُلا، خاصةً مع ازدهار الحركة التجارية بين الأقطار الإسلامية وكذلك بسبب موقعها على طريق الحج الشامي (ابن رسته، ١٨٩٢م، ص١٩-٢٠). كما انتقلت العُلا في العهد الإسلامي من كونها محطة على الطرق التجارية في الجزيرة العربية، لتصبح محطة رئيسة على طرق الحج القادمة من بلاد الشام ومصر، وتبدو آثار الاستيطان الحضاري واضحة جدًا في هذه الفترة في موقع قرح والمسمى حديثات بموقع "المابيات"، والذي كان من أهم المواقع في الفترة الإسلامية، لدرجة أن أحد المؤرخين يذكر أنه كان يفوق في الأهمية حجر اليمامة وكان يأتي في الأهمية بعد مكة المكرمة والمدينة المشرفة (المحرر الثقافي، ٢٠٢١، مرجع سابق، ص١٨٢).

وتشكل العُلا ملتقى لطريقي الحج المصري والشامي ويعرف هذا الأخير باسم "التبوكية" نسبة إلى بلدة تبوك يمر عليها، ويبدأ مساره من دمشق ويمر ببصرى الشام (درعا)، وبمنازل أخرى، ثم يدخل أراضي المملكة ليمر على حالة عمار، ثم ذات الحاج بتبوك، ثم الأقرع، ثم الأخضر الذي تقع فيه محطة المحدثة، ثم محطة المعظم، ثم الحجر، ثم العُلا ثم قرح، ولم يتغير مسار الطريق بين تبوك والعُلا طوال العصور الإسلامية، إلا أن بعض محطات هذا الجزء حملت أكثر من اسم؛ أما الجزء من طريق الحج الواقع بين العُلا والمدينة فقد كان له مساران؛ مسار قديم استخدم إلى القرن السادس الهجري، ومسار آخر استخدم بعد القرن السادس الهجري (المحرر الثقافي، المرجع نفسه، ص١٩ و ٢٠). ولقد اهتم الخلفاء الراشدون والأمويون بعمارة الطريق الشامي، فوضعوا العُلامات والمنارات على طول مساره وبنوا البرك والصهاريج والقنوات، وخلال العصر العباسي ازدهرت مدينة العُلا ضمن مدن الطريق ومحطاته وسجلت المسوحات الأثرية وجود برك مياه وبقايا قنوات في مواقع هذه المدن، كما وجدت نقوش كوفية تذكارية تركها المسافرون على الطريق (المحرر الثقافي، المرجع نفسه، ص٢٠).

٧/١-مباني العُلا بين الجغرافيا والتاريخ

إن مدينة العُلا تتميز عن بقية مدن العالم بترابط مبانيها التي تكاد تكون كبيت واحد أو قلعة عظيمة من الطين؛ حيث يؤدي الطين دورًا كبيرًا في عملية البناء في البلدة القديمة، والعمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية بشكل عام. والطين تبنى به جميع الجدران الداخلية والخارجية، كما يستخدم كمادة لياسة ومادة لاحمة بين المداميك الحجرية في الأساسات وبين الطوب اللبن، وكذلك يستخدم في تغطية الأسقف فوق جريد النخل وفي أرضيات السطوح (الزهراني، عبد الناصر، مرجع سابق، ص٤٩). وتتميز العمارة المحلية بالبلدة القديمة بالعُلا بأنها ذات نسيج عمراني متميز ومتفرد، فقد كانت انعكاسًا لتفاعل المؤثرات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والبيئية، التي شكلت جميعًا نمط عمارتها وتخطيطها وبنائها، تمثل العمارة السكنية الجانب الأكبر فيها، هذا إضافة إلى العمارة الدينية (المساجد) وكذلك العمارة الدفاعية (القلعة) (الزهراني، المرجع نفسه، ص ٤٤).

استطاع المعماري في العُلا استثمار الموارد الطبيعية الموجودة في بيئته بكفاءة عالية إما بشكلها الطبيعي أو تطويرها وفقًا لحاجياته. وتتكون أهم مواد البناء المستخدم في بناء الوحدات السكنية من مادة الحجر الرملي والجيري، والطين، والطوب اللبن، والجص، وجذوع النخل، وجذوع شجر الأثل، وجريد النخل، والليف، وتعدّ هذه المواد الأساسية التي استخدمت في بناء البلدة القديمة. وهناك العديد من أساليب وأنواع البناء التي استخدمها المعماري العُلاوي منها طريق البناء بلبن القالب والبناء باللبن المشكل يدويًا، إضافة إلى استخدامه العديد من أنواع الحجارة (المشذبة، المجلوبة من موقع دادان، والحجارة غير المشذبة، والأخرى المشذبة المجلوبة من المحاجر)، ما جعل الشكل العام لبناء الجدران يأخذ أشكالاً متعددة منها المنتظم وغير المنتظم، اعتمادًا على شكل الحجارة المستخدمة في البناء (الزهراني، عبد الناصر، مرجع سابق، ص٤٩).

بنيت المدينة من الحجر والطين، ويبنى الدور الأرضي غالبًا بمادة الحجر، ويلاحظ أخذ سكان البلدة القديمة الكثير من الأحجار من آثار موقع (دادان) لغرض البناء بوضعها في صلب بنائهم، أو لتزيين بعض واجهات الأبواب والنوافذ (الشيباني، ٢٠٠١م، ص٤٦). وقد وفرت الفتحات بين المنازل أسلوب إنارة وتهوية وتبريد عالي الكفاءة وكمية من الظل الذاتي والمعكوس على أزقة وممرات وساحات تلك المباني. إن مباني مدينة العُلا (الديرة) بنيت من الطوب الطيني الذي يسمى (اللبن) ومنه ما يصب بقوالب ويطلق عليه لبن القالب، ومنه ما يكوم باليد ويسمى (لبن اليد). حيث يستخدم بأحجام مختلفة في البناء وتختلف تسمية الجدار حسب عرضه؛ فمنها ما يطلق عليه بناء سميطا (وهو مكون من طابوقة واحدة) وهناك الجدار (المربوع) وهذا يكون أكثر عرضًا وأقوى في عملية الربط لأنه يتكوّن من لبنة (بلوكة) ونصف. وعادة ما يكون الجدار مربوعًا إذا كان في الأطرف أو أنه يكون ساندا لأخشاب السقوف وتكون القواطع بالسميطا للحصول على مساحات داخلية أكبر. وعادة ما تتحكم أطوال الأخشاب المستخدمة في المساحات؛ وهذا الأسلوب ينطبق على غالبية مباني العُلا القديمة باستثناء بعض القلاع والحصون وبعض المباني التي تكون قريبة من محاري السيول تكون مبنية بالحجارة والطين (الحربي، خليص، ٢٠٠٦، مج ٤١، ع ١١، ١٢، ص٩٣٩، ٩٤٠).

وكانت مباني العُلا "مبنية كليًا من الآجر مقسومة إلى قسمين متساويين تقريبًا بواسطة صخرة معزولة يبلغ ارتفاعها ٤٠ مترًا تقريبًا تكاد تكون عمودية من جميع الجهات وتعلوها أطلال قلعة. لكل من نصفي المدينة شيخ أو أمير والنصف الجنوبي هو الأهم" (هوبير، مرجع سابق، ص١٠٢). وتتصف منازل البلدة القديمة في العُلا بالبساطة في المظهر، والأمان والخصوصية لسكانها. مع الوضع في الاعتبار تلاصق الجدران لتقليل التكاليف وتقاسمها مناصفة مع الجيران من ثلاثة جوانب في أغلب الأحيان (الزهراني، عبد الناصر، ص٤٧. والعُلا التي اشتهرت ببساتين النخيل (أويتنج، ١٩٩٩م، ص ٢١٤، ٢١٧). وشجر الأثل، استفادت من ذلك في بناء المنازل حيث يتميز النخل والأثل بصلابتها ومقاومتها للتشقق، إضافة إلى خفة وزنها. تعدّ جذوع النخل أثقل وزنًا من جذوع الأثل، وإمكاناتها العازلة للحرارة والصوت. وتستخدم هذه الجذوع، بشكل عام، في تسقيف المباني والسواكف، وصناعة الأبواب، وأقفالها، والنوافذ. ويستفاد من جذوع النخل لتسقيف المنازل، وبناء الأسقف كجسور على الجدران. ويفضل استخدام خشب الأثل لصناعة الألواح الخشبية، لسهولة تشكيله، لعمل الأبواب والنوافذ والأرفف. ويستخدم جريد النخل المجرد من الخوص، أو بالخوص، في تسقيف المنازل، حيث يرص الجريد فوق الجذوع ويربط بحبال من الليف. أما سعف النخل فيصنع منه الحصير ويوضع فوق جريد النخل لتغطية السقف، ثم يوضع فوقه الطين (الزهراني، عبد الناصر، التراث العمراني للبلدة القديمة مرجع سابق، ص٥٠).

وحين تأملها أبو البركات السويدي في عام ١١٥٧هـ/١٧٤٥م، قال: "فيها بيوت ذوات أبواب، على سطح كل باب هيئة الدرجين المعكوسين، تظن العامة أنها مقلوبة، وليس كذلك كما هو ظاهر لمن تأمل البناء، وعقد الأبواب والأواوين" (السويدي، مرجع سابق،

ص٢٥٠). يتميز الطين المستخدم بخواص فيزيائية عالية مثل خاصية العزل الحراري، والعزل الصوتي، بالإضافة إلى سهولة تشكيله،... إلخ. الشكل أدناه يوضح تحليل لنموذج الطين المستخدم في البلدة القديمة في العُلا (الجدول ١).

المادة	النسبة المئوية
سيلكا	٥٠%
ألومينا	٣٤%
أكسيد الحديد	٨%
جير وماغنيسيوم	٦%
مواد عضوية	٢%
المجموع	١٠٠%

الجدول (١)

يوضح نسبة المركبات في مادة الطين

المصدر: الحربي، محمد حمد خليص، القيمة المعمارية لمباني مدينة العُلا القديمة (الديرة)، ج ١١ و١٢، ص ٩٣٩- ٩٥١

وقد نجح المعماريون في العُلا في إيجاد تعبير معماري جديد عن طريق تشكيل وتنظيم العناصر التركيبية والإنشائية التي وجدت في العمارات القديمة، حيث كانت العُلا أحد مراكزها الرئيسية مثلما هي في العراق وبلاد الشام (الحربي، خليص، مرجع سابق، ص ٩٤٠).

ومنزل أهل العُلا يتميز عن غيره من المنازل الأخرى في تقسيم عناصره الوظيفية، حسب الحاجة له دون إسراف في مساحة الأرض ومع الأخذ بعين الاعتبار تلاصق الجدران لتخفيف المصاريف وتقاسمها مناصفة مع الجيران من ثلاثة جوانب في أغلب الأحيان ويتكون المنزل العُلاوي في أغلب الأحيان من دورين دور أرضي (سفلي ويطلقون عليه أسفل) ودور علوي. فالدور الأرضي لا يستخدم لأغراض سكنية في فصل الصيف؛ لأنهم يسكنون في مزارعهم لحراستها من السرقة وللاستمتاع بثمارها الصيفية مثل الرطب والعنب والرمان والخوخ والحمضيات ويستخدمونه للسكن شتاء، ويحتوي المنزل على المدخل الرئيسي الذي يؤدي إلى غرفة ضيقة المساحة تسمى (القاعة) وصالة صغيرة تسمى (الصحن) وكذلك الدرج إلى الدور الثاني. ويستفاد من بيت الدرج في تخزين الحطب والفحم للوقود والتدفئة في فصل الشتاء البارد ويطلق عليه البعض (بيت الفحم)، وكذلك لتخزين أعلاف الحيوانات وبعض الأثاث الزائد عن اللزوم. أما القاعة وهي الغرفة الوحيدة في الدور السفلي ففي فصل الصيف تكون مخزنًا للمؤونة الغذائية من تمر وسمن وبر وغيرها من خيرات تنتج محليًا (الحربي، المرجع نفسه، ص٩٤١).

وحسب نظرية الانتشار الحضاري ما كنا نرى ذلك إلا بعد توفير مقومات التواصل في تلك المنطقة. فكان للانتشار الحضاري دور في حياة الحضارات واستمرارها وتطورها، حيث إن كل حضارة تؤثر وتتأثر تبعا للظروف التي تمر بها. وتخضع لنظرية الانتشار الحضاري بما يخص طرق الانتشار؛ سواء بالعناصر الثقافية لنظرية الانتشار الحضاري، أو بالعوامل المؤثرة على هذه النظرية

ثانيًا: العُلا بين الجغرافيا والتاريخ في التاريخ الحديث

أما في العصر الحديث وخلال القرن العاشر الميلادي، فقد نشأت البلدة القديمة في العُلا واستمرت إلى قبل حوالي ٨٠ سنة من تاريخ إنشاء المملكة العربية السعودية، وكانت المدينة القديمة مستوطنة حضارية بامتياز (المحرر الثقافي، ٢٠٢٠، مرجع سابق، ص ٢٠). كما انطبقت نظرية الانتشار الحضاري في العصر الحديث بعد إنشاء خط سكة حديد الحجاز وهو الخط الذي يعبر جزء كبير منه القرى الشمالية الغربية الداخلية حيث يمر بالحجر القريبة من العُلا، وتبوك، ومعان (رفعت، ٢٠١٢م، مج١، ص٩٧). وأصبحت العُلا إحدى محطاته الكبيرة على درب الحج الشامي، حيث يحتوي الموقع على مدينة كبيرة قديمة محاطة بجدار شمال المدينة عبر الوادي ويوجد بها عدة قنوات تمتد إلى عكمة حيث عيون الماء (المحرر الثقافي، ٢٠٢٠، مرجع سابق، ص ٢٠). كما شهد القرن الخامس عشر الهجري خروج أهل العُلا من بلدتهم القديمة وتشييدهم لمنازل على الطراز المعماري الحديث، خارج البلدة القديمة، وأصبحت هذه المدينة مهجورة، وتداعى كثير

من منازلها (الزهراني، عبد الناصر، التراث العمراني للبلدة القديمة مرجع سابق، ص٤٤).

وتتضح أهمية العُلا التاريخية والجغرافية في العصر الحديث من خلال ما كتبه الرحالة الأجانب الذين زاروها حيث إن هذه المدينة ليست مهمة عند الحضارات القديمة والإسلامية فحسب، بل امتدت هذه الأهمية إلى العصر الحديث حيث ظهر إعجاب الرحالة الأجانب والمؤرخين والجغرافيين المختصين الذين زاروا شبه الجزيرة العربية، ومن الرحالة الأجانب نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

زار الرحالة الألماني يوليوس أويتنغ Julius Euting العُلا أياما من شهر جمادى الأولى لعام (١٣٠١ه/ أبريل ١٨٨٤م). وجاءت زيارة وكتابات الرحالة الألماني عن بلدة العُلا لتقدم مادةً تاريخية مهمة عنها وعن أوضاعها العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وحاول الباحث التعليق على هذه الرحلة؛ للخروج -قدر الإمكان- بقراءة تاريخية علمية لتاريخ البلدة عن هذه الرحلة (البلوي، مطلق، ٢٠١٩م، ص٧).

ويذكر الرحالة جورج أوغست فالين (George August Wallin) أن العُلا فيها مزارع نخل (فالين، ٢٠٠٨م، ص١٨٠)، وإن إحدى القبائل كانت تتمون التمر منها (فالين، المصدر نفسه، ص١٧١)، ويؤكد الرحالة الإنجليزي يوليوس أويتنج Julios Aoiting أن العُلا اشتهرت ببساتين النخيل (أويتنج، مصدر سابق، ص٢١٤، ٢١٧). وأكد الرحالة تشارلز تشارلز دوتي (Charles Doughty) أثناء زيارته على أن "كل أنواع نخيل تيماء جرى جلبها من جبل الشمر، فيما عدا نخيل الحلو الذي جرى جلبه من قرية العُلا " (دوتي، مصدر سابق، ج١، مج١، ص٤٩٩).

ويذكر شارل هوبير (Charles Huber) أن العُلا كانت: "تنعم بظروف ازدهار استثنائية. ثمانية ينابيع تسقي نخيلها وأثنان منها قويان، ويعطي مجموعها أكثر من حاجتها للماء. وقد أكد لي أن سنة جفاف أو حتى عدة سنوات من الجفاف لا تؤثر على منسوب هذه الينابيع، لذا يزرع السكان إلى جانب النخيل، كل القمح والشعير (جوسين، وسافيناك، ١٤٢٤هـ، ص٧١) والهراء- فسيل النخل - اللازم لهم. كما أن بساتينهم تضم عددًا كبيرًا من أشجار الدراق والليمون والحامض، والتين، والرمان، والعرائش. وأخيرًا يزرعون الشمام والبطيخ الأحمر والتبغ (دوتي، مصدر سابق، ج١، مج٢، ص٣٣١) رغم أنه كان من المحظورات" (هوبر، مصدر سابق، ص١٠٣). وأكد هوبير أيضًا على أن "وجود الينابيع يعفيهم من عملية سحب الماء المضنية وكذلك من الاعتناء بالدواب" (هوبير، المصدر نفسه، ص ١٠٣).

أما بالنسبة لموارد المياه في العُلا فيذكر فالين أن الينابيع تكثر فيها حيث يستقر بها السكان (فالين، مصدر سابق، ص٩٨)، ويذكر دوتي أن بعض الأهالي في العُلا كانوا يقومون بالبحث عن بعض العيون المائية خاصةً وأنه كانت توجد آثارًا لقنوات ري قديمة (دوتي، ج١، مج٢، ص٣٧٧). وأي إنسان يكتشف بئرا قديمة خارج أسوار هذه البلدة. يكون ملكًا له؛ وهنا يقوم مثل هذا الشخص بتسوير أكبر قطعة ممكنة من الأرض التي يمكن أن يرويها من ماء ذلك البئر، ويقوم ذلك الشخص بحرث أرضه الجديدة لتصبح جاهزة لزراعة الحبوب وزراعة النخيل أيضًا، وبعد ذلك بخمسة عشر عامًا يصبح ثمن كل ساق من تلك السيقان مساوٍ لثمن جمل من الجمال (دوتي، المصدر نفسه، ج١، مج١، ص٥٠٠). ونتيجة لتوفر المياه بالعُلا وكذلك البساتين والزروع كثرت بها الطيور، حتى أن الرحالة كانوا يستبشرون حين يرونها في السماء، إذ هي دليل على قربهم من العُلا (أوتينج، رحلة داخل الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص١٧٩).

كما زارت البعثة الفرنسية والمكونة من الرحالة الفرنسيان أنطوان جوسين (Joussen) ورفائيل سافيناك (Savignac) الحجر ثلاث مرات، وكانت رحلتهما الأولى في عام (١٩٠٧م) وكتبا عنها ما يلي: "نخرج كل صباح حاملين على جمل... وسلمًا ارتفاعه تسعة أمتار، وقربة ماء، وآلات التصوير مع كل لوازمها، وكان برفقتنا بدوي...، وأربعة جنود مدججين بالسلاح يتولون مراقبتنا، وينضم إلينا أحد الدركيين العاملين في القلعة أو الأطفال المقيمين في الجوار، وكان هؤلاء يزودوننا من وقت لآخر بأسماء مواقع تكرر الحديث عنها لدى العرب، وكنا نزور القبور واحدًا واحدًا"، ثم

عادا لزيارة الحجر في عام (١٩٠٩م)، ثم في عام (١٩١٠م)، وقد قاما في رحلتهم بدراسة مقابر الحِجْر، وترتيبها حسب أشكالها وطرازها المعمارية المختلفة بناء على العناصر المعمارية التي تتميز بها، فهناك المقابر ذات الشرفات وهي على نوعين، والمقابر التي تعلوها سلالم وأدراج، كما صنفا المقابر حسب أساليب نحتها، وما تحمله واجهاتها من حليات وزخارف، كما ركزا على المنشآت الدينية مثل: الديوان والمحاريب والمقاصير الموجودة في جبل إثلب، كما سجلا الكثير من النقوش النبطية والمعينية ونقوش خط البادية (الثمودي) واليونانية وغيرها (الأنصاري، ٢٠٠٥، مرجع سابق، ص٨٣).

أما أوتينج، فقد تجول في مدائن الحجر وتحدث عن مقابرها فقال إنها منحوتة في الصخر، وتكتظ واجهاتها بالعديد من الزخارف والأشكال المصورة بشكل بارز على الصخر. وأن مقبرة الفريد من أجمل المقابر وأكبرها وتحتوي على أرائك (أسرة) الموتى لإدراج فارغة أو حفرة مستطيلة منحوتة في جدار صخري، بعضها منحوت في أرضية المقبرة وكأنها توابيت غير مغطاة، توجد فوق بعض مداخل المقابر نقوش نبطية رائعة (أوتينج: رحلة داخل الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص٢١٩، ٢٢٣).

كما زارها الرحالة البريطاني تشارلز دوتي ضمن قافلة الحج الشامي في عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) وقد أُبقي في مدائن صالح بعد اكتشاف أنه نصراني، فأخذ يتجول في المنطقة مستنسخًا الكتابات القديمة والرسوم المنقوشة في واجهات المقابر المنحوتة في الجبال، وفي نهاية شهر مايو (١٨٧٧م/ ١٢٩٤هـ) قام بجولة في حرة عويرض التي دعاها باسم حرة المواهيب؛ لأن فخذ المواهيب من قبيلة بلي كانوا يقطنون في قرية ثربة الواقعة بالحرة.

وتتضح أهمية العُلا التاريخية والجغرافية في العصر الحديث ومواكبتها للتحولات الحضارية والثقافية بصورة أكبر وفق نظرية الانتشار الحضاري بعدما انضمت تحت حكم الملك عبد العزيز المؤسس "رحمه الله" في آخر جمادى الأولى ١٣٤٤هـ/ نوفمبر١٩٢٦م (السبيت، عبد الرحمن سبيت وآخرون، من وثائق الملك عبد العزيز، الرياض، رئاسة الحرس الوطني، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٥٥-١٥٦. وأصبحت جزء من المملكة العربية السعودية وبدأ التطور السريع لها أدركت المملكة العربية السعودية الأهمية التاريخية للمنطقة، فقامت بالعمل على الكشف عن ذلك الإرث التاريخي الذي يعتبر وفقًا لنظرية الانتشار الحضاري، عاملاً رئيسيًا في نقل العناصر الثقافية فسعت إلى تسليط الضوء على التراث الأصيل للمنطقة وبناء جسر حضاري بين الماضي والحاضر من ناحية، وكشف الأسرار التاريخية الدفينة في المنطقة، من ناحية أخرى (المحرر الثقافي، ٢٠٢١، مرجع سابق، ص١٨٠).

وكان الملك عبد العزيز قد استبعد الاقتراح المقدم من النائب العام في عام (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) بحل ارتباط الوجه بالعُلا، وضباء بتبوك، ذلك أنه أي الملك أدرك أن من المصلحة الإبقاء على الوضع القائم لوجود روابط اقتصادية واجتماعية بين أهالي منطقة تبوك منذ القدم (وثيقة، معهد الإدارة العامة، ١٩٣٦م، رقم ١١/٦/٨٩). وتعمل الهيئة الملكية على إجراء مسح أثري شامل، وهو ممارسة تختلف عن التنقيب على الآثار لمحاولة حصر وجمع كافة المعلومات عن الآثار المنقولة وغير المنقولة في العُلا، وإعادة رسم الخارطة الأثرية للعلا لإيضاح ما تكتنزه من تاريخ أثري غاية في الأهمية (المحرر الثقافي، ٢٠٢١، مرجع سابق، ص١٨٠). كما أصبحت الحِجر في العُلا أول موقع سعودي مدرج على لائحة اليونسكو للتراث العالمي عام ٢٠٠٨م تحت رقم: ١٢٩٣، وهذا يساهم في تسجيل التاريخ الثقافي لمنطقة العُلا والمنطقة العربية بشكل أوسع، كما يجسد روح عمل برنامج ذاكرة العالم التابع لليونسكو (موقع منظمة اليونسكو ١). وفي عام ٢٠١٥ تم إدراج طريق الحج الشامي مرورًا بالعُلا على لائحة اليونسكو للتراث العالمي.

وتُعَدّ محافظة العُلا من أهم مناطق الجذب السياحي في المملكة العربية السعودية، بما تحويه من تاريخ حضاري وثقافي موغل في القدم، ولا تزال آثارها شاهدة على تلك الحقب التاريخية التي تعاقبت على المنطقة. فقد استوطنتها ممالك عربية قديمة، كدادان

ولحيان والأنباط. وفي العصر الإسلامي كانت منطقة العُلا من بين أهم محطات الحجاج القادمين من الشام، ثم أصبحت محطة من محطات سكة حديد الحجاز التي أنشئت عام ١٣٢٦هـ (الكتيب السياحي، «د.ت»، ص٤٥). ومن حيث موارد التراث الثقافي والطبيعي، تتميز محافظة العُلا الحالية بمواقع تراثية وتاريخية، وعمرانية، وطبيعية، عديدة ومتنوعة. قامت وكالة الآثار والمتاحف (حاليًا الهيئة العليا للسياحة والآثار) بتوثيق وتسجيل (٥٤) موقعًا أشهرها (الزهراني، مرجع سابق، ص٤٢):

- الحجر (مدائن صالح)، وتقع على بعد ٢٢ كيلو متر تقريبًا إلى الشمال من العُلا.
- العُلا القديمة (البلدة القديمة)، وتقع في الجزء الشمالي من مدينة العُلا الحالية.
- دادان (الخريبة)، وتقع إلى الشمال الشرقي من العُلا القديمة على بعد ثلاثة كيلو مترات.
- قرح (المابيات) وتقع على بعد نحو ثمانية عشر كيلو مترًا إلى الجنوب من العُلا القديمة.
- محطة سكة حديد الحجاز (العُلا) في العُلا.

وأدركت حكومة المملكة أهمية البلدة القديمة وتاريخها، وتخطيطها وطريقة عمارة المنزل وتخطيطه، ومواد البناء في البلدة القديمة، وطرق ومراحل بناء الوحدات السكنية، وعوامل التلف والمخاطر التي تهدد التراث العمراني في البلدة القديمة ووضعت السياسة الداعمة للحفاظ على هذا التراث العمراني، وإيجاد الوسائل والآليات التي تعمل على بقائه. وعملت على ترميم الأجزاء التالفة وصيانتها وإعادة المنشآت الساقطة، كما تبنت سياسة متكاملة للحفاظ على التراث العمراني والبلدة القديمة.

وفي ظل رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وسمو ولي عهده الأمين – حفظهما الله – جرى تأسيس هيئة مستقلة لمحافظة العُلا، بمسمى (الهيئة الملكية لمحافظة العُلا) وتعكس الهيئة أهمية تطوير محافظة العُلا على نحو يتناسب مع قيمتها التاريخية، وما تشتمل عليه من مواقع أثرية، بما يحقق المصلحة الاقتصادية والثقافية المتوخاة، والأهداف التي قامت عليها رؤية المملكة (موقع مجلة الآثار ١) ٢٠٣٠

وفي عام ٢٠٢١ وقعت الهيئة الملكية لمحافظة العُلا واليونسكو اتفاقًا رائدًا في مجال التعاون الثقافي يرمي إلى الحفاظ على التراث وتفسيره، وصون التراث الثقافي المادي وغير المادي، والإشراك وبناء القدرات والفنون الإبداعية. ويقدِّم هذا الاتفاق مخططًا لبرنامج ثقافي متكامل ولزمالات في مجال الآثار. ويركِّز على التعاون والإبداع المشترك في إطار شراكة شاملة مدتها خمسة أعوام. ويدشن فصلاً جديدًا في العُلاقة بين اليونسكو والمملكة العربية السعودية (موقع منظمة اليونسكو ٢).

كما أطلق الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز ولي العهد، رئيس مجلس إدارة الهيئة الملكية لمحافظة العُلا، الرؤية التصميمية لمخطط "رحلة عبر الزمن"، بهدف إحياء وتأهيل المنطقة الأثرية الرئيسة في العُلا بشكل مسؤول ومستدام، في بيئة ثقافية وطبيعية فريدة من نوعها شمال غرب المملكة، حيث يُعد المشروع محطة رئيسية ضمن برنامج تطوير العُلا وتحويلها إلى وجهة عالمية رائدة للفنون والتراث والثقافة والطبيعة، تحقيقًا لمستهدفات رؤية المملكة (موقع مجلة الآثار ٢) ٢٠٣٠.

خاتمة

مما سبق يتضح لنا أننا أمام مدينة عريقة علت بين هامات المدن عبر التاريخ، فقد وهبها الله أصالة الماضي وعراقته بما زخرت به من أثار وتراث حضاري على مر العصور. كما وهبها الله رعاية رشيدة في العصر الحديث حافظت عليها وطورتها وقدرت هذا التراث الحضاري الفريد فيها.

توصلت الدراسة إلى أن العُلا اكتسبت أهميتها التاريخية بشكل خاص من خلال موقعها الاستراتيجي، والتي تعد من أقدم المناطق التي سكنتها المجتمعات القديمة وأكد على ذلك الشواهد الأثرية التي تم اكتشافها في المنطقة، كما تمتاز بوفرة المياه والتربة الخصبة الصالحة للزراعة والرعي الأمر الذي أدى إلى توافد المجتمعات إليها. إلى جانب وقوعها على طريق القوافل التجارية، الذي يربط وسط الجزيرة العربية بغربها وشمالها ومنه تنطلق القوافل التجارية إلى بلاد الشام والرافدين ومصر

توصيات الدراسة

- توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ مثل هذه المدن الحضارية المتميزة والممتدة في أنحاء المملكة العربية السعودية، وكذلك العمل على تفعيل دورها الحضاري والتاريخي والذي مرت به عبر الأزمنة المختلفة.
- إقامة مراكز علمية تعني بجمع تراث مثل هذه المدن سواء المدون في المخطوطات أو المطبوعات، خاصة كتب الرحلات، لما تحويه من معلومات ثرية وقيمة.
- إقامة متاحف للتراث في العُلا تعرض هذه المتاحف تراث البلدة والعادات والتقاليد المرتبطة بها.
- تفعيل برامج التنمية المستدامة لمدينة العُلا لاستمرار صيانتهما والحفاظ عليها والاستفادة منها في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- تخصيص أحد المؤتمرات العلمية المتخصصة عن تراث وتاريخ وحضارة مدينة العُلا عبر التاريخ.

وأخيرًا فإن هذه الدراسة تبقى محاولة أولية آمُل أن تسهم في إنتاج أبحاث ودراسات أخرى تتناول مثل هذه الموضوعات الغنية بالحقائق والقضايا الحضارية المهمة.

ملاحق الدراسة

(ملحق رقم ١)

الموقع الجغرافي لمدينة العُلا

(ملحق رقم ٢)

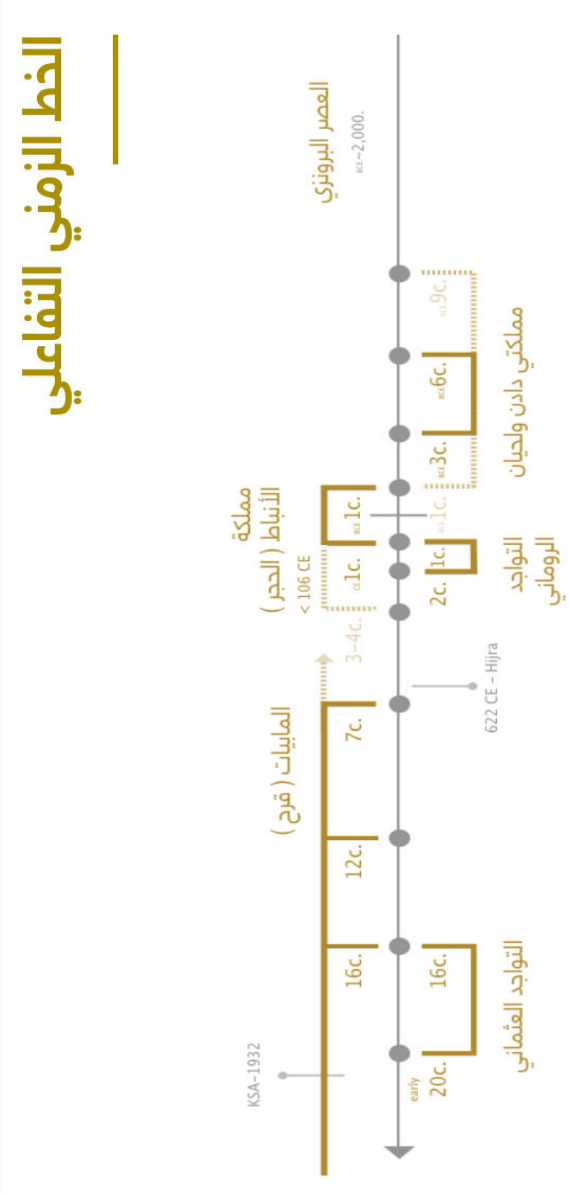

المصدر: الهيئة الملكية لمحافظة العُلا

نقش لحياني بين القرن الخامس والثاني قبل الميلاد
الرياض، متحف قسم الآثار، جامعة الملك سعود، ١٦٩د ١

نقوش جبل عكمة بالعُلا
موقع اليونسكو
https://www.unesco.org/ar/alula/snapshots/jabal-ikmah

(ملحق رقم ٣)

خريطة طرق القوافل البرية القرن الأول قبل الميلاد

المصدر: حجازي، حنان، تجانس أنماط العمارة الإسلامية التقليدية في شبه الجزيرة العربية ومصر، ص ٢٧٩

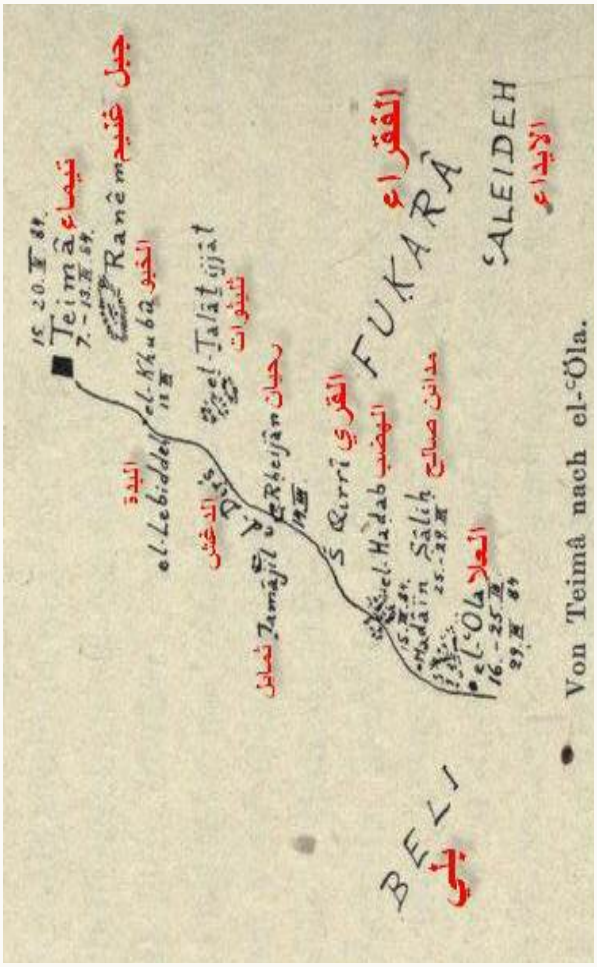

خريطة رسمها الرحالة يوليوس أويتنج عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م لخط سيره من تيماء إلى العُلا

(ملحق رقم ٤)

جبل الفيل في مدينة العُلا

جبل عكمة

الحجر (مدائن صالح)

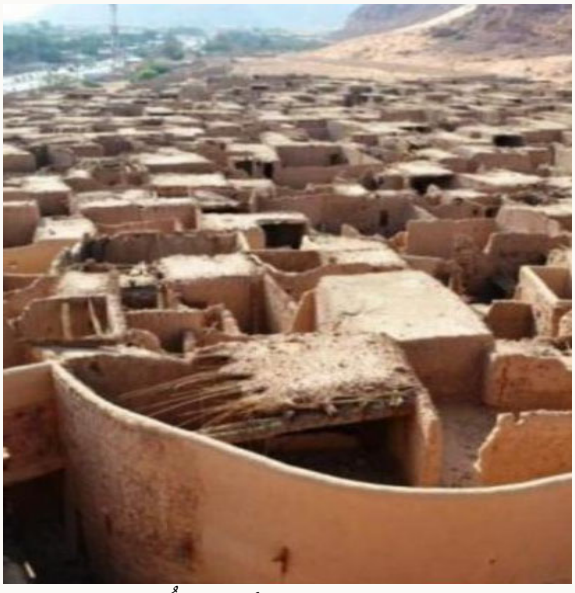

المباني الطينية الأثرية بالعُلا

بعض الأزقة تتدرج في ميلها الطبيعي نحو الشرق
لتفضي بمياه الأمطار إلى المزارع

(ملحق رقم ٥)
من نقوش وتشكيلات العُلا الصخرية)

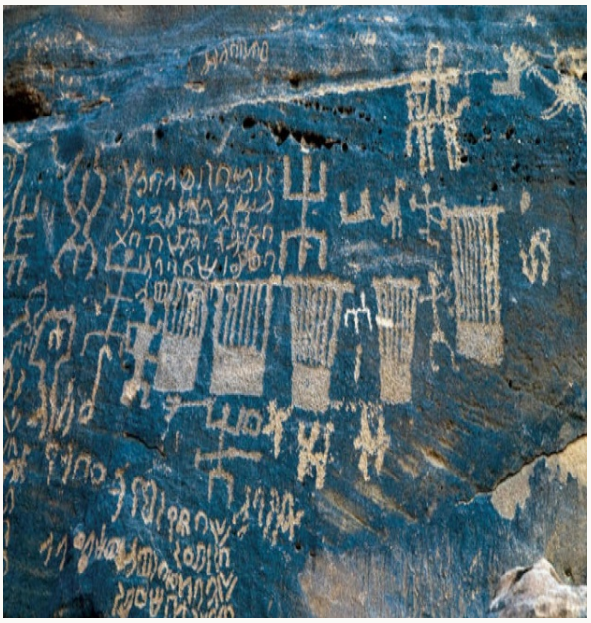

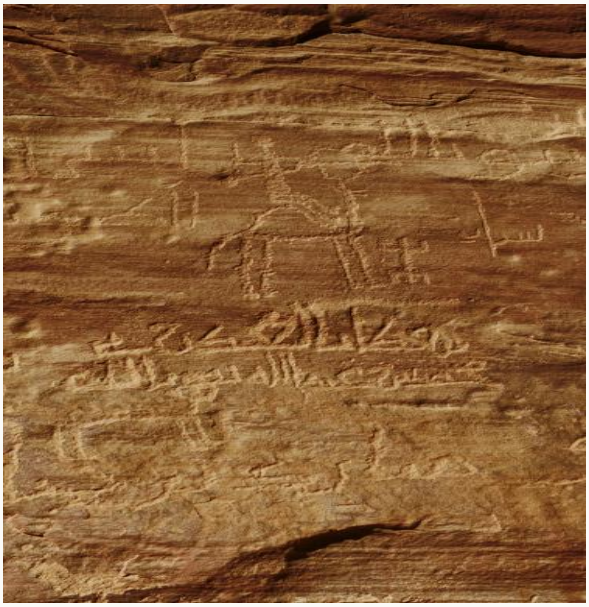

(ملحق رقم ٦)
(نقوش إسلامية)

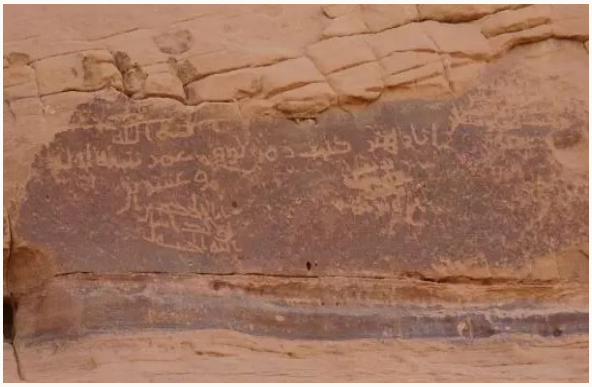

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية والمعربة

١-ابن رسته، أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٢م.

٢-ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣-أبو الحسن، حسين، قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العُلا، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٧م.

٤-أبو العُلا، محمود، جغرافية شبه الجزيرة العربية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥م.

٥-الإدارة العامة للآثار والمتاحف المناطق الأثرية بالعُلا ومدائن صالح، الكتيب السياحي الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف المملكة العربية السعودية، «د.ت».

٦-الأنصاري، عبد الرحمن، وحسين أبو الحسن، العُلا ومدائن صالح، دار القوافل، الرياض، ٢٠٠٥م.

٧-الأنصاري، عبد الرحمن، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، الدارة، الرياض، ١٩٧٥م.

٨-البكري، أبو عبيد عبد الله، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.

٩-السبيت، عبد الرحمن سبيت وآخرون، من وثائق الملك عبد العزيز، الرياض، رئاسة الحرس الوطني، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٠- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني، وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، دراسة وتحقيق محمد الأمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١١- السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٩م.

١٢- العنزي، زبن، معجم وتاريخ القرى، د.ن، ١٩٩٦م.

١٣- الناصري، سيد، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٤- أويتنج، يوليوس: رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمة وتعليق: سعيد فايز السعيد، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٩٩م.

١٥- جلبي، أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمة، الصفصافي المرسي، دار الأفاق العربية، ١٩٩٩م.
١٦- جوسين، انطونان، وسافيناك، رفائيل: رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ترجمة صبا عبد الوهاب الفارس، مراجعة سليمان بن عبد الرحمن الذييب وسعيد بن فائز السعيد، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ.
١٧- دوتي، تشارلز، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة: صبري محمد حسن، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م.
١٨- رفعت، إبراهيم باشا، مرآة الحرمين الشريفين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٢م.
١٩- زناتي، أنور محمود، علم التاريخ واتجاهات تفسيره، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢٠- رجب، عمر الفاروق السيد، الحجاز – دراسات إيكولوجية، جدة، دار الشروق، ١٩٧٩م.
٢١- صبحي، أحمد محمود: في فلسفة التاريخ. مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م
٢٢- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٣- عبد الكريم، أحمد عبد الله أحمد علي، هذه هي العُلا بين الماضي والحاضر، مراجعة وإخراج محمد سعد الحجيري، الجمعية التعاونية المتعددة الأغراض بالعُلا، الرياض، ١٩٩٤م.
٢٤- فالين، جورج أوغست: رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شبلي ومراجعة إبراهيم يزبك، بيروت، دار الوراق للنشر، ٢٠٠٨م.
٢٥- نصيف، عبد الله، العُلا والحجر (مدائن صالح)، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٩٩٨م.
٢٦- نصيف، عبد الله، العُلا: دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، مكتبه الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥م.
٢٧- معهد الإدارة العامة، الرياض، الوثائق، الوثيقة رقم ١١/٦/٨٩ أمر ملكي، الديوان الملكي ١٩ شعبان ١٣٥٥هـ/ ٤نوفمبر ١٩٣٦م.
٢٨- هوبير، شارل، يوميات رحلة في الجزيرة العربية، (١٨٨٣-١٨٨٤م)، ترجمه وعلق عليه عبد القادر محمود عبد الله؛ تحقيق ومراجعة عبد الرحمن الطيب الأنصاري، حسين بن علي أبو الحسن، ناصر بن محمد العنزي، جامعة تبوك، تبوك، ٢٠١٤م.
٢٩- هوساوي، سلمى، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، جامعة الملك سعود، دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٧م.

ثانيًا: المجلات والمؤتمرات العلمية

٣٠- البلوي، حمد بن منصور: تاريخ وادي القرى في صدر الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا، ٢٠١٠م.
٣١- البلوي، مطلق بن صياح، العُلا في كتابات الرحالة الألماني يوليوس أويتنغ ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط -كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع٣٨، ٢٠١٩م.
٣٢- الحربي، محمد خليص، عيون الماء في العُلا تاريخ وتقنية وأعراف، دراسات في آثار الوطن العربي، حوليات مؤتمر الآثاريين، ع ١٦، ٢٠١٣م.
٣٣- الحربي، محمد خليص، القيمة المعمارية لمباني مدينة العُلا القديمة، مجلة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ٢٠٠٦.
٣٤- الديري، محمد، العمارة الدينية اللحيانية: كما دلت عليها المكتشفات الأثرية في موقع دادان "الخريبة " مجلة دراسات في علم الآثار والتراث، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض،٢٠١٦م.
٣٥- الزهراني، عبد الناصر، التراث العمراني للبلدة القديمة بمدينة العُلا والحفاظ عليه، مجلة أدماتو، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ع ١٧، ٢٠٠٨م.
٣٦- المحفوظ، إبراهيم سليمان، التوزيع المكاني لمجالس العشائر في مدينة العُلا القديمة بمنطقة المدينة المنورة، مجلة الدراسات العربي، ع. ٤، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٩٩٩م.
٣٧- حجازي، حنان، تجانس أنماط العمارة الإسلامية التقليدية في شبه الجزيرة العربية ومصر، حولية

الاتحاد العام للأثاريين العرب، مج ٢٤، ع ٢٤، ٢٠١٣م.
٣٨- سلام، عامر عمر، علاقة الأنباط مع جيرانهم، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، ع٣ ج٢، ٢٠١٣م.
٣٩- الشيباني، محمد عبد الهادي، التراث العمراني في العُلا وسبل المحافظة عليه، بحث مقدم في ندوة التراث العمراني الوطني وسبل المحافظة عليه وتنميته سياحيًا، الرياض ٤-٧ شعبان ١٤٢٤هـ، ٢٠٠١م.
٤٠- الفقير، بدر بن عادل، السياحة في محافظة العُلا، موارد الجذب ومعوقات التنمية، دراسة في الجغرافيا السياحية، السعودية، مجلة مركز بحوث كلية الآداب، عمادة البحث العلمي، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٧م.
٤١- متولي، محمد حمدي، قلعة العُلا على طريق الحاج الشامي دراسة آثارية معمارية جديدة، كتاب ملتقى آثار المملكة العربية السعودية المنعقد بمدينة الرياض خلال الفترة ١٨ – ٢٠ صفر ١٤٣٩هـ الموافق ٧ – ٩ نوفمبر ٢٠١٧م.
٤٢- المحرر الثقافي، العُلا ملتقى طرق الحج القديمة، مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج، ع ٩١٢، ٢٠٢٠م.
٤٣- المحرر الثقافي، العُلا عاصمة الآثار والحضارات، مجلة فكر، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، ع٣٠، ٢٠٢١م.

ثالثًا: الرسائل العلمية

٤٤- أبو راس، شعبان، الأنباط وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية (٣٠ق.م ـــ ١٠٦م). رسالة ماجستير غير منشوره، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م.
٤٥- السراني، عبير، وآل زبنة، مناصر، بناء نموذج خرائطي لتحديد المواقع السياحية في محافظة العُلا، مجلة بحوث عربية في مجالات التربية النوعية، مج ٢٥، ع ٢٥، يناير ٢٠٢٢م.
٤٦- زاهر، راجح، علاقات الأنباط بالدول والشعوب المجاورة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٤م.

رابعًا: المراجع الأجنبية

47- Grimme – H. Grimme, Neubearbeitung der wichtigeren Dedanischen und Lihjanischen Inschriften, Le Muséon, vol. L ، Louvain, 1937.
48- Jamme. Sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi Arabia. Saudi Semitici 23. Unversita di Roma. 1966. pp. 65-82؛ D.H Potts. The Arabian Gulf in Antiquity. Vol. II.From Alexander the Great to the Coming of Islam. Oxford. 1990.
49- Lundin, G. A. "Ugaritic Writing and the Origin of the Semitic Consonantal Alphabet," (Aula Orientalis, 1987, p. 91-98: Tropper, J., "Ägyptisches, Nordwestsemitisches und Altsüdarabisches Alphabet," UF, 28. 1996.
50- Samer, Sehlah, Assessment of the Continuous Ancient Occupation in Al-'Ula from Environmental and Archaeological Perspectives, Saudi Arabia, Journal of Tourism and Archaeology, Vol. 29, (2), King Saud Univ.,Riyadh, 2022.

خامسًا: المواقع الإلكترونية المعتمدة

٥١-موقع مجلة الآثار ١ على الرابط التالي:
https://www.archaeology.sa/?p=23386
٥٢-موقع مجلة الآثار ٢ على الرابط التالي:
https://www.archaeology.sa/?p=27372
٥٣-موقع منظمة اليونسكو ١ على الرابط التالي:
https://www.unesco.org/ar/alula
٥٤-موقع منظمة اليونسكو ٢ على الرابط التالي:
https://www.unesco.org/ar/articles/alhyyt-almlkyt-lmhafzt-alla-walywnskw-twqan-atfaqaan-raydaan-fy-mjal-altawn-althqafy